المحاضرة الخامسة علوم القرآن

الخامسُ والسادسُ : الليليُّ والنَّهاريُّ

المقصود بالليلي والنهاري:

أي نسبة إلى الليل والنهار ، واللَّيْلُ عقيب النهار ومَبْدَؤُه من غروب الشمس (لسان العرب (11/ 607)

وأما النهار فهو الوقت الذي ينتشر فيه الضّوء ، وهو في الشرع : ما بين طلوع الفجر إلى وقت غروب الشمس ، وفي الأصل ما بين طلوع الشمس إلى غروبها. مفردات القرآن . للراغب . نسخة محققة (ص: 826)

فالمقصود بالليلي : ما نزل من آيات القرآن في الوقت من غروب الشمس إلى طلوع الفجر في أي يوم من أيام نزول الوحي

والنهاري : ما نزل من آيات القرآن في الوقت من طلوع الفجر إلى غروب الشمس في أي يوم من أيام نزول الوحي

قيل : الأصل النهار؛ لأن الليل سكن، والنزول إنما يكون في حال اليقظة على الخلاف الذي سيأتي قي سورة الكوثر. وإذا كان التنزيل في اليقظة؛ فاليقظة إنما تكون بالنهار، والليل سكن ، فقد نزل من القرآن آيات بالليل حال يقظته عليه الصلاة والسلام، وجاء في السنة أن النبي–عليه الصلاة والسلام–كان يكره الحديث بعد صلاة العشاء–كما أنه–عليه الصلاة والسلام–يكره النوم قبله. تبعاً لذلك يكون أكثر القرآن نزولاً إنما هو بالنهار كما أشار إليه الناظم في آخر الفصل ، وهذا التقسيم باعتبار الزمان

علاقته بما سبق

الليلي والنهاري يعبر عن زمان النزول فمنه المكي ومنه المدني ومنه السفري ومنه الحضري ، وهو علم يدل على اعتناء العلماء بكتاب الله والظروف المحيطة بالآيات النازلة والجو الذي نزلت فيه ، فقد يستفاد من ذلك في بيان شئ خفي أو في الجمع أو الترجيح ، ومعرفة تاريخ النزول ، أو في دفع بعض الأقوال الباطلة ، فتوثيق ما صح من ذلك مفيد على كل حال ،وكذا يقال فيما بعده من الصيفي والشتائي والفراشي ونحوه .

وسُورَةُ الفَتْحِ أَتَتْ في اللَّيْلِ وآيةُ القِبْلَةِ أَيْ {فَوَلِّ}

ذكر الناظم رحمه الله أربعة من النازل ليلا وهي :

1- سورة الفتح :

مقتضى كلامه أن تكون سورة الفتح كلها نزلت بالليل، لكن الوارد إلى قوله-جل وعلا- { صراطاً مستقيماً} . وأنزلت سورة الفتح بعد منصرفه من الحديبية. وسميت الحديبية فتحا ؛ لما ترتب عليها من خيرٍ عظيم للدعوة، فصارت هي الفتح الحقيقي {إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً }.

ومنهم من يقول: أن الفتح هو فتح مكة؛ وهو المراد بالآية. والتعبير عنه بالماضي لتَحَقُّقِ وقوعه، كما في قوله-جل وعلا-: {أَتَى أَمْرُ اللهِ} والفتح فتح مكة. والسورة نزلت قبل فتح مكة ، ومنهم من يقول: أن الحديبية مقدمة للفتح، ومقدمة الفتح فتحه.

والمقصود أن مطلع هذه السورة نزل بالليل كما جاء في الحديث (لقد أنزل عليّ الليلة قرآناً) ثم تلا إلى قوله-سبخانه وتعالى- {صراطاً مستقيماً }.وهو الذي ذهب إليه السيوطي خلافا للبلقيني ، والحديث رواه البخاري عن عمر (عصيمي)

2- آية القبلة :

وآيةُ القِبْلَةِ أَيْ { فول }

على الخلاف بين العلماء تبعاً لما جاء في الأحاديث في أول صلاة صلاها النبي-صلى الله عليه وسلم- إلى مكة، إلى القبلة. آية القبلة: {قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ }حولت القبلة. وكان النبي-عليه الصلاة والسلام-يتشوف إلى هذا التحويل، فصلى بعد أن نزلت عليه هذه الآية إلى الكعبة، بدلاً من الصلاة إلى بيت المقدس. وكان النبي-عليه الصلاة والسلام-بعد هجرته يصلي إلى بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهراً، ثم حولت القبلة إلى الكعبة.

- فمنهم من رجح: أن أوّل صلاةٍ صلاها النبي-عليه الصلاة والسلام-هي صلاة الصبح؛ وعلى هذا يكون نزول الآية: بالليل ، لأنها أول صلاة نهارية بعد انقضاء الليل

- ومنهم من يقول: أن أول صلاةٍ صلاها هي صلاة العصر. وأما صلاة الصبح فهي الصلاة في قباء في اليوم التالي ؛ صلاة أهل قباء الذين مرّ بهم الصحابي الذي صلى مع النبي-عليه الصلاة والسلام-قبل ذلك ، وأخبرهم بأن القبلة حولت إلى الكعبة، فاستداروا كما هم. يكون بلوغهم الخبر في أثناء صلاة العصر، وإذا كان هذا بالنسبة لأهل قُباء فالنبي-عليه الصلاة والسلام-صلاها قبل ذلك؛ لأن هذا الصحابي صلاها مع النبي-عليه الصلاة والسلام-. إذا كان أهل قباء صلوها الصبح وجاءهم الجائي ممن صلى مع النبي- عليه الصلاة والسلام-وأخبرهم فيكون صلاها مع النبي-عليه الصلاة والسلام- العصر، وحينئذٍ تكون الآية نزلت نهاراً لا يعقل أنها تنزل بالليل ولا يصلي النبي-عليه الصلاة والسلام-إلا صلاة العصر، لا يمكن أن يحصل هذا { فول وجهك } ثم يصلي إلى بيت المقدس، ما يمكن.

(عصيمي) وصول الخبر تأخر إلى أهل قباء ، فلم يتوجهوا إلا في صلاة الفجر ، ويكون خبر الصحابي في قوله " الليلة " باعتبار علمه هو ، فاتصل الخبر إلى أهل قباء بالليل ، وكان ممن سمعه هذا المخبر منه ، ثم لما جاءهم وقد أقاموا صلاة الفجر وهم متوجهون إلى بيت المقدس أخبرهم بأن النبي صلى الله عليه وسلم قد حُول إلى الكعبة ، وبهذا يرتفع الإشكال بين الحديثين ، ويعلم أن آية القبلة آية نهارية لا ليلية أه

وأهل قباء استداروا كما هم بخبر واحد ، وكانوا على قبلةٍ مقطوعٍ بها إلى بيت المقدس. فتركوا المقطوع به لخبر الواحد. وهذا مما يستدل به على أن خبر الواحد يفيد القطع، ولولا أنه يفيد القطع لما تركوا ما يفيد القطع إلى المظنون ، لكن الحافظ ابن رجب-رحمه الله-يقول: أن خبر الواحد هذا احتفت به قرائن.كان الصحابة يتوقعون أن تحول القبلة، والنبي-عليه الصلاة والسلام-يقلب وجهه في السماء ويتشوق إلى تحويل القبلة. الصحابة يتوقعون فهذه قرينة على صدق هذا المخبر، وبهذه القرينة ارتفع إلى إفادة العلم، وارتفع عنه إفادة الظن.

والقِبْلَةُ في الأصل اسم للحالة التي عليها الْمُقَابِلُ نحو : الجلسة والقعدة ، وفي التّعارف صار اسما للمكان الْمُقَابَلِ المتوجّهِ إليه للصلاة. مفردات القرآن . للراغب . نسخة محققة (ص: 654)

والقِبلةُ سُمِّيت قِبلةً لإقبال النَّاس عليها في صَلاتِهِم، وهي مُقْبِلةٌ عليهم أيضاً. معجم مقاييس اللغة لابن فارس (5/ 52)

وقَولُهُ :{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ } بَعْدُ {لأَزْوَاجِكَ} والخَتْمُ سَهُلْ

أَعْنِي الَّتِي فيها البَنَاتُ لا الَّتِيْ خُصَّتْ بِهِا أَزْواجُهُ فَأَثْبِتِ

3- (يأيها النبي قل لأزواجك) :

المقصود بهذا الموضع قوله تعالى {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأزواجك } ، لكنهما آيتان :

الأولى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ }الأحزاب المسماة آية التخيير. والثانية التي في أواخر سورة الأحزاب { قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ }ولما كان الأمر والاحتمال دائرٌ بين الآيتين قال الناظم-رحمه الله-:

أَعْنِي الَّتِي فيها البَنَاتُ لا الَّتِيْ ... خُصَّتْ بِهِا أَزْواجُهُ فَأَثْبِتِ

فقد حدد المراد، ووضح المقصود، وبيّن أن المراد آية الأحزاب التي في أواخرها ، وهي قوله تعالى :

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ} والدليل على أنها نزلت بالليل القصة ، وفيها أن نساء النبي _عليه الصلاة والسلام_ كن لا يخرجن لقضاء الحاجة إلا في الليل، كما ثبت ذلك في الصحيح من حديث عائشة :فخرجت سودة بنت زَمعة أم المؤمنين لقضاء حاجتها، وهي لا تخرج إلا بالليل، كغيرها من نساء النبي_عليه الصلاة والسلام_وكان عمر _رضي الله تعالى عنه_ يريد منع نساء النبي_عليه الصلاة والسلام_ من الخروج ولا في الليل، لئلا يتعرض لهنّ أحد ، ثم قال لها لما رآها : "قد عرفناك يا سودة" ، وكانت سودة امرأة معروفة لتميزها في جسمها امرأة طوال، وثبطة ثقيلة بطيئة ،فعرفها عمر و يعرفها غير عمر، وهي متحجبة الحجاب الكامل وتُعرف بجسمها، "قد عرفناك ياسودة"، تأذت من هذا الكلام فذكرت ذلك للنبيّ_ عليه الصلاة والسلام_فنزلت الآية.

وفى قوله :(قد عرفناك يا سودة) دليل أنه قد يجوز الإغلاظ فى القول والعتاب إذا كان قصده الخير شرح صحيح البخارى . لابن بطال (1/ 240)

وفيه: جواز وعظ الرجل أمه فى البِرّ، لأن سودة من أمهات المؤمنين. شرح ابن بطال (1/ 256، بترقيم الشاملة آليا)

وفيه التزام النصيحة لله ولرسوله في قول عمر رضي الله عنه احجب نساءك وكان عليه الصلاة والسلام يعلم أن حجبهن خير من غيره لكنه كان يترقب الوحي بدليل أنه لم يوافق عمر رضي الله عنه حين أشار بذلك وكان ذلك من عادة العرب عمدة القاري شرح صحيح البخاري (4/ 137، بترقيم الشاملة آليا)

وقول عمر ـ رضى الله عنه ـ في هذا الحديث : ((ألا قد عرفناك يا سودة)) ؛ يقتضي : أن ذلك كان من عمر ـ رضى الله عنه ـ قبل نزول الحجاب ؛ لأنَّ عائشة رضي الله عنها قالت فيه : حرصًا على أن ينزل الحجاب ، فأنزل الحجاب. والرواية الأخرى تقتضي أن ذلك كان بعد نزول الحجاب ، فالأولى أن يحمل ذلك على أن عمر تكرر منه هذا القول قبل نزول الحجاب وبعده ، ولا بُعد فيه . ويحتمل أن يحمل ذلك على أن بعض الرواة ضمَّ قصة إلى أخرى ، والأول أولى ؛ فإنَّ عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ وقع في قلبه نفرة عظيمة ، وأنفه ، شديدة من أن يطلع أحدٌ على حرم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حتى صرح له بقوله : احجب نساءك ؛ فإنَّهن يراهن البر والفاجر . ولم يزل ذلك عنده إلى أن نزل الحجاب ، وبعده . فإنه كان قصده : ألا يخرجن أصلاً ، فأفرط في ذلك فإنَّه مفضي إلى الحرج والمشقة ، والإضرار بهن ، فإنَّهن محتاجات إلى الخروج ، ولذلك قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لما تأذَّت بذلك سودة : ((قد أذن لَكُنَّ أن تخرجن لحاجتهنَّ)). وقوله : ((فأنزل الحجاب)) ؛ أي : آية الحجاب ؛ وهي قوله تعالى : {يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم} ، إلى قوله : { وإذا سألتموهن متعًا فسئلوهن من وراء حجاب }. كذلك روي عن أنس وابن مسعود رضي الله عنهما ؛ غير أن هذا يتوجَّه عليه إشكال ، وهو : أن حديث أنس وابن مسعود يقتضي : أن سبب نزولها هو : أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين أعرس بزينب اجتمع عنده رجال فجلسوا في بيته ، وزوجته مولية وجهها إلى الحائط ، فأطالوا المجلس حتى ثقلوا عليه ، فأنزل الله تعالى هذه الآية . وحديث عائشة يقتضي أن الحجاب إنَّما نزل بسبب قول عمر : احجب نساءك . ويزول ذلك الإشكال بأن يقال : إن الآية نزلت عند مجموع السَّببين . فيكون عمر قد تقدَّم قوله : احجب نساءك ، وكرر ذلك عليه إلى أن اتفقت قصة بناء زينب ، فصدقت نسبة نزول الآية لكل واحد من ذينك السَّببين . المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (18/ 3)

وكان النساء لا يخرجن إلا بالليل؛ لأن الليل أستر لهن ، والظلام يسترهن زيادةً على ما يرتدينهُ من ثياب، وجلابيب، وخمر وغير ذلك ، كان النساء لا يخرجنّ إلا للحاجة والبيوت ليس فيه كنف؛

فيضطرون للخروج لقضاء الحاجة،ومع ذلك امتثالا لقوله تعالى: {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ} ما في خروج إلا لحاجة أو ضرورة، ، كان النساء كما جاء في الخبر لهنّ حافات الطرق، ولا يُرى منها شيء، ولا يُدرى عن حجمها أسمينةٌ هي أم نحيفة، أو نحيلة مما عليها من الثياب و العبايات السابغة المتينة، وقد تلصق عباءتها بالجدار وإذا وجدت منعطفا لاذت به حتى يمر الرجل ، وكان هذا موجودا عن قريب في بعض بلاد المسلمين والله المستعان .

وآَيةُ {الثَّلاثَةِ الَّذِينَ }   أَيْ { خُلِّفُوا } بِتَوبَةٍ يَقِينَا

4- (وعلى الثلاثة الذين خلفوا)

الألف للإطلاق (يقينا) ، (بِتَوبَةٍ):يعني بسورة التوبة.

يعني قوله تعالى : {وَعَلَى الثَّلاَثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ} إلى آخر الآية ، والثلاثة هم: كعب ابن مالك وهلال بن أمية ومرارة ابن ربيع، هؤلاء الذين خُلفوا، خُلفوا عن غزوة تبوك ، والأصل أنهم تَخلفوا من غير عذر، وصدقوا النبي _عليه الصلاة والسلام_ وأنه ليس لهم عذر، فتخلفت توبتهم وقبول عذرهم لمدة خمسين يوما، والقصة مشهورة في الصحاح وغيرها.

هذه الآية نزلت بالليل يقينًا لما في الصحيح من حديث كعب ، قال :فأنزل الله توبتنا على رسوله_ صلى الله عليه وسلم_ حينما بقي الثلث الآخر من الليل، فنزول آية الثلاثة الذين خلفوا كان بالليل، فهذه المذكورات من الآيات.

فائدة : إذا أردت أن تعرف وتحفظ الثلاثة الذين خلفو فهم مجموعون في كلمة (مكة) فالميم مرارة، والكاف كعب، والهاء هلال.

أيضا أسماء آبائهم جُمعوا في كلمة الربيع اخذوه من العين، أمية أخذوا الهاء، ومالك أخذوا الكاف؛ فيجمعون في (مكة) و(عكة) أسماؤهم، وأسماء آبائهم، الطريقة معروفة عند أهل العلم يضبطون بها ما يريدون.

فَهذِهِ بَعْضٌ لِلَيْلِيِّ عَلى   أَنَّ الكَثِيْرَ بالنَّهارِ نَزَلا

(بَعْضٌ لِلَيْلِيٍّ عَلى): هذه الآيات، بعض الآيات التي وردت الأخبار بأنها نزلت في الليل، فهذه الآيات المذكورات بعضٌ لليلي على أن الكثير من الآيات نزل بالنّهار(على أن الكثير بالنّهار نزلَ).

وتقدم أن اليقظة في النهار، والنوم في الليل، والنزول في حال اليقظة.

لماذا نزل الكثير بالنهار ؟

لأنه غالب أحوال الإنسان ، والنهار محل نشاط ، وأما الليل فإنه يكون سكنا ، فالمناسب للوحي هو أن يكون أكثره في النهار ليتلقاه الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم غضا طريا ، حين كونه بارزا إليه ، فإنه يكون في نهاره أكثره مع الناس ، وأما في الليل فإنه يأوي صلى الله عليه وسلم إلى بيوته ، وندر أن يخرج في الليل ، قال ابن حبيب " نزل أكثر القرآن نهارا " الإتقان في علوم القرآن (1/ 65)

أما حديث جابر مرفوعا " أصدق الرؤيا ما كان نهارا لأن الله خصني بالوحي نهارا " أخرجه الحاكم في تاريخه فقال السيوطي : هذا الحديث منكر لا يحتج به أه

-ومن أمثلة النهاري " اليوم أكملت ..." فإنها نزلت يوم عرفة بعد العصر كما في الصحيحين عن عمر أه (انظر شرح العصيمي)

- ومن أمثلة الليلي الذي لم يذكره المؤلف : كما في الإتقان في علوم القرآن (1/ 66)

- أواخر آل عمران " لقد نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَةٌ، وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ...} " الْآيَةَ كُلَّهَا (بن حبان) 620 [قال الألباني]: حسن - "الصحيحة" (68)، "التعليق الرغيب" (2/ 220).

- ومنها (والله يعصمك من الناس) أخرج الترمذي والحاكم عن عائشة قالت كان النبي يحرس حتى نزلت فأخرج رأسه من القبة فقال"أيها الناس انصرفوا فقد عصمني الله " قال الشيخ الألباني : حسن

تنبيه : ذكر السيوطي نوعا وسطا "ما نزل بين الليل والنهار " في وقت الصبح ، من ذلك " ليس لك من الأمر شيء" ففي الصحيح أنها نزلت وهو في الركعة الأخيرة من صلاة الصبح حين أراد أن يقنت يدعو على أبي سفيان ومن ذكر معه

السابعُ والثامنُ : الصَّيفيُّ والشتائِيُّ

المقصود بالصيفي والشتائي:

الصيفي منسوب للصيف وهو الفصل المعروف ، والشتائي نسبة إلى الشتاء وهو الفصل المعروف

قال بن السكيت : السَّنة عند العرب اسمٌ لاثْنَي عشَر شهراً ثم قسموا السَّنة فجعلوها نصفين ستة أَشهر وستة أَشهر فبدؤوا بأَوَّل السنة أَول الشتاء لأَنه ذكَرٌ والصيف أُنثى ثم جعلوا الشتاء نصفين فالشَّتَويُّ أَوَّله والربيع آخره فصار الشَّتْويُّ ثلاثة أشهر والربيع ثلاثة أَشهر وجعلوا الصيف ثلاثة أشهر والقَيْظ ثلاثة أَشهر فذلك اثنا عشر شهراً أه

فائدة : (النسبة إلى الشتاء شَتْويٌّ على غير قياس ، وفي الصحاح النسبة إليها شَتْويٌّ وشَتَويٌّ مثل خَرْفِيٍّ وخَرَفِيٍّ قال ابن سيده وقد يجوز أَن يكونوا نسَبوا إلى الشَّتْوَة ورَفضوا النَّسب إلى الشِّتاء)لسان العرب (14/ 421)

وقالوا في النسب إلى "الشِّتاء": "شَتْويّ"، كأنّهم نسبوا إلى "شَتْوَةٍ"، وقيل: إنّ "شتاءً" جمعُ "شَتْوَةٍ" كـ"قَصْعَةِ"، و"قِصاعٍ"، و"صَحْفَةٍ"، و"صِحافٍ"، وأنت إذا نسبت إلى جمعٍ؛ رددته إلى واحده، فعلى هذا يكون قياسًا. شرح المفصل لابن يعيش (3/ 479)

يقول الناظم رحمه الله تعالى في النوع السابع والثاني :(الصيفي والشتائي): يعني ما نزل في فصل الصيف، وما نزل في فصل الشتاء .ومن المعلوم والمعروف أن السنة أربعة فصول،والخريف يُلحق في الشتاء ، فيُلحق كلّ فصل بالذي قبله، لشهرة الفصلين المذكورين ؛ ولذا لا تجد آية منصوص عليها أنها نزلت في الخريف ، وأهل العلم يتتبعون ذلك في الآثار .

(قال العصيمي) لم يقع في كلام الناظم ولا في أصله ولا في أصل أصله ولا غيرهما من المتكلمين في علوم القرآن ذكر الخريفي والربيعي ، وجروا على هذا لأن الربيع عند العرب تابع للصيف والخريف تابع الشتاء باعتبار منازل الأبراج الشمسية ، فالصيف والربيع شماليان ، والشتاء والخريف جنوبيان أه

فعلى هذا نقول في تعريفهما:

الصيفي : ما نزل من آيات القرآن في أثناء فصلي الصيف والربيع في آي عام من أعوام نزول الوحي

والشتوي : ما نزل من آيات القرآن في أثناء فصلي الشتاء والخريف في آي عام من أعوام نزول الوحي

علاقته بما سبق :

هذا النوع أيضا يتعلق بزمن نزول آيات القرآن لآن آياته مكيها أو مدنيها سفريها أو حضريها ليليها أو نهاريها لا بد أن تنزل في أحد فصول السنة ، فهي قسمة زمانية حولية حصرية تشمل كل ما نزل ، والليلي والنهاري قسمة زمانية يومية حصرية أيضا تشمل كل ما نزل ، أما السفري والحضري فهي قسمة

مكانية حصرية ، فلا إشكال في تداخل هذه الأنواع ، فمثلا نقول في آية " اليوم أكملت لكم دينكم " انها مدنية سفرية نهارية ولا إشكال في ذلك ولا تعارض .

صَيْفِيَّةُ كآَيِةِ الكَلالَةِ والشِّتَائِيْ كالعَشْرِ في عَائِشَةِ

(صيفيه) : أي القرآن ، ورد في الكلالة آيتان ، وكلاهما في سورة النساء: الأولى في أوائلها والثانية في أواخرها؛ فالصيفية منهما الأخيرة التي في آخر سورة النساء ، وكان عمر بن الخطاب ــرضي الله عنهــ أكثر وألح في السؤال عن الكلالة , وطعن النبي صلى الله عليه وسلم بأصبعه في صدره وقال (ألا تكفيك آية الصيف؟) يعني الآية التي في آخر سورة النساء، وأما الآية التي في أوائِلها فهي شتائية كما قال أهل العلم.

معنى الكلالة :

في معنى الكلالة أربعة أقوال :أحدها : أنها ما دون الوالد والولد ، قاله أبو بكر الصديق . وقال عمر ابن الخطاب : أتى عليّ حين وأنا لا أعرف ما الكلالة ، فإذا هو : من لم يكن له والد ولا ولد ، وذكر الزجاج عن أهل اللغة ، أن «الكلالة» : من قولهم : تكلله النسب ، أي : لم يكن الذي يرثه ابنه ، ولا أباه . قال : والكلالة سوى الوالد والولد ، وإنما هو كالاكليل على الرأس . وذكر ابن قتيبة عن أبي عبيدة أنه مصدر تكلله النسب : إذا أحاط به . والابن والأب : طرفان للرجل ، فاذا مات ، ولم يخلفهما ، فقد مات عن ذهاب طرفيه ، فسُمي ذهاب الطرفين : كلالة ، والثاني : أن الكلالة : من لا ولد له ، والثالث : أن الكلالة : ما عدا الوالد ، والرابع : أن الكلالة : بنو العم الأباعد ، واختلفوا على ما يقع اسم الكلالة على ثلاثة أقوال : أحدها : أنه اسم للحي الوارث ، وهذا مذهب أبي بكر الصديق ، وعامة العلماء الذين قالوا : إن الكلالة مِن دون الوالد والولد ، فانهم قالوا : الكلالة : اسم للورثة إذا لم يكن فيهم ولد ولا والد ، والثاني : أنه اسم للميت ، والثالث : أنه اسم للميت والحي ، وفيما أخذت منه الكلالة قولان : أحدهما : أنه اسم مأخوذ من الإحاطة ، ومنه الاكليل ، لإحاطته بالرأس ، والثاني : أنه مأخوذ من الكلال ، وهو التعب ، كأنه يصل إلى الميراث من بُعد وإِعياء (زاد المسير في علم التفسير (1/ 498)

(والشتائي) من القرآن ، (كالعشر في عائشة): كالعشر الآيات من سورة النور التي نزلت في قصة عائشة، اتهامها وبراءتها في قصة الإفك {إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالْإِفْكِ... }إلى آخر الآية، قال ابن الجوزي رحمه الله : " أجمع المفسرون أن هذه الآية وما يتعلق بها بعدها . نزلت في قصة عائشة ، وفي حديث الإفك أن هذه الآية إلى عشر آيات نزلت في قصة عائشة " (زاد المسير في علم التفسير4/ 435)

وحيث نزلت براءتها من السماء، فهذه الآيات العشر نزلت في الشتاء ،وجاء في قصة الإفك من حديث عائشة في الصحيح أن النبي _عليه الصلاة والسلام _كان يقرأ الأيات وإن العرق ليتحدر من جبينه في وقتٍ شاتٍ؛ فيدل هذا على أن هذه الآيات في قصتها نزلت في الشتاء , وإن نازع بعضهم في الدلالة على المراد من هذه الآيات على وجه الخصوص , وإن هذه كانت صفتهُ _عليه الصلاة والسلام_ عند نزول الوحي باستمرار في هذه الآيات وغيرها، إنّه إذا نزلت تحدر العرق منه سواء كان في الشتاء، أو في الصيف _عليه الصلاة والسلام_ لشدة ما يُلقى إليه، وثقل ما ينزل عليه ، وكون آيات الإفك نزلت في الشتاء هو الذي ذهب إليه البلقيني وجماعة ، ونازع فيه السيوطي باعتبار أن هذا خبرا عن نزول العرق منه صلى الله عليه وسلم عند وجود الوحي على أي حال كان في صيف أو شتاء ، وهو متجه لكنما ذهب إليه البلقيني وغيره أقوى ، فإن الأصل أن خبرها هو عن تلك الحال ، فقولها " وهو في يوم شات " أي عند نزول تلك الآيات ، فالمصير إليه أولى من المصير إلى الاحتمال الذي ذكره السيوطي (أفاده عصيمي)

والإفك : هو كل مصروف عن وجهه الذي يحق أن يكون عليه (مفردات القرآن . للراغب . نسخة محققة (ص: 79))

والمراد به ما أفك به الصديقة ، أم المؤمنين رضي الله عنها ، وفي لفظ المجيء إشارة إلى أنهم أظهروه من عند أنفسهم من غير أن يكون له أصل : { عُصْبَةٌ مِنْكُمْ } أي : جماعة منكم ، وقوله تعالى : { لا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ } مستأنف ، والهاء ضمير الإفك أو القذف . والخطاب لرسول الله صلوات الله عليه ، ولآل الصديق رضي الله عنهم ، ولمن ساءه ذلك من المؤمنين . تسلية لهم من أول الأمر . وقوله تعالى : { بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ } زيادة في التسلية والتكريم . أي : لا تظنوه يلحق تهمة بكم أو يوقع نقيصة فيكم ، بل قد جرّ لكم خيراً عظيماً .قال الزمخشريّ : ومعنى كونه خيراً لهم ، أنهم اكتسبوا فيه الثواب العظيم . لأنه كان بلاءً مبيناً ومحنة ظاهرة . وأنه نزلت فيه ثماني عشرة آية ، كل واحدة منها مستقلة ، بما هو

تعظيم لشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسلية له ، وتنزيهٌ لأم المؤمنين رضوان الله عليها ، وتطهير لأهل البيت, وتهويل لمن تكلم في ذلك أو سمع به فلم تمجه أذناه . وعدة ألطاف للسامعين والتالين إلى يوم القيامة . وفوائد دينية وأحكام وآداب لا تخفى على متأمليها (محاسن التأويل (تفسير القاسمي)

التعريف بعائشة

وأما عائشة فهي ابنت أبي بكر الصديق، وهو عبد الله بن عثمان التيمي القُرشي، تُكنى بأم عبد الله، وأمها: أم رومان بنت عامر بن عويمر الكنانية، ولدت بعد البعثة بأربع سنوات، وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي بنت ست ودخل بها وهي بنت تسع سنين، ولم يتزوج بكراً غيرها، وتوفي عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي في الثامنة عشرة من عمرها وكانت وفاتها في 17 من رمضان سنة 58هـ- وصلى عليها أبو هريرة رضي الله عنه ، ودفُنت ليلاً في البقيع رضي الله عنها.وانفردت عائشة رضي الله عنها بمجموعة من المناقب : فكانت أحب الأزواج إلى النبي صلى الله عليه وسلم، من بعد خديجة رضي الله عنها ، وجاء جبريل عليه السلام بصورتها إلى الرسول الله صلى الله عليه وسلم في قطعة من الحرير قبل زواجها ، وأرسل لها جبريل السلام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأُنزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في لحافها دون غيرها من أمهات المؤمنين. وأول من بدأها النبي صلى الله عليه وسلم بالتخيير عند نزول آية التخيير،وقرن ذلك بموافقة أبويها فاختارت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن تستشيرهما فاستن بها بقية أمهات المؤمنين. ونزلت آيات من القرآن الكريم بسببها ، وحرص النبي صلى الله عليه وسلم أن يُمرَّض في بيتها، فكانت وفاته بين سحرها ونحرها في يومها، وجمع الله ريقيهما في آخر ساعة له من الدنيا وأول ساعة له من الآخرة، ودفن في بيتها، وأخبر صلى الله عليه وسلم بأنها من أصحاب الجنة ، وروى البخاري والترمذي وصححه عن عبد الله بن زياد الأسدي قال: "سمعتُ عماراً يقول: هي زوجته في الدنيا والآخرة" ، ثم هي أعلم نساء هذه الأمة، إذ روت عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة تجاوزت الألفين، إضافة إلى أن كبار الصحابة كانوا يرجعون إليها ويستفتونها. شذى الياسمين في فضائل أمهات المؤمنين (ص: 15)

تنبيه :

(عصيمي) ما يمكن تمييزه من آي القرآن في كونه صيفيا أو شتائيا قليل لأنه وارد باعتبار النقل ، وذكره قليل في الأحاديث والآثار أه

والناظم رحمه الله لم يستوعب كل الصيفي والشتائي الذي ورد به النقل ، فمن أمثلة ما تركه :

-فمن الصيفي : الآيات النازلة في غزوة تبوك فقد كانت في شدة الحر

-ومن الشتائي : الآيات التي في غزوة الخندق من سورة الأحزاب فقد كانت في البرد (الإتقان في علوم القرآن (1/ 69)

التاسع : الفِراشيُّ

معنى الفراشي : (عصيمي) مرادهم هنا : بالفراش ما يختص بما يجعل له صلى الله عليه وسلم للنوم عليه ، سواء نزل عليه وهو نائم أو كان يقظان غير نائم ، ولكنه جالس على فراشه صلى الله عليه وسلم أه

(ومادة (فرش) تدلُّ على تمهيد الشَّيءِ وبَسْطه. . معجم مقاييس اللغة لابن فارس (4/ 486

كَآيَةِ الثَّلاثَةِ الْمُقَدَّمَةْ في نَوْمِهِ في بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةْ

والنوع التاسع (الفراشي) : هل هذا له مقابل أم لا ؟ نعم فيه نوم غير فراشي ، ينام على غير فراش _عليه الصلاة والسلام_, لكن الفراش عموم ما يفترش، عموم ما يفترش

والمراد بالفراشي :

ما نزل من آيات القرآن في النوم أو حال التهيؤ له، على الخلاف في سورة الكوثر .

مثل له الناظم بآية (الثلاثة الذين خلفوا) المتقدمة : نزلت في الثلث الأخير من الليل , فتكون في فراشه لأنه في الثلث الأخير، في فراشه أو حال قيامه للصلاة

جاء ما يدّلُ على أنه في فراش أم سلمة ، وإن جاء ما يعارضه من قول عائشة أنه ما نزل عليه الوحي إلا وهو في فراشي" يعني ما نزل عليه الوحي في بيت امرأة من نسائه إلا عند عائشة _رضي الله عنها_ ، فهو يُعارض هذا. وإن كان الإجابة ممكنة أنه حال اجتماعها به, يعني ما نزل في بيت أحد من أمهات المؤمنين حال اجتماعها به. قد تكون ليست في البيت كما يقول بعضهم في الإجابة على هذا التعارض.

(عصيمي) يلحق بالفراشي ما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو نائم كسورة الكوثر صرح به السيوطي في النقاية ، وكان الأولى أن يقال :

يلحقه النازل حين النوم كسورة الكوثر وسط القوم

ثبت بإسناد حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما عند ابن جرير قال (كانت رؤيا الأنبياء وحيا) ، وفي البخاري عن عبيد بن عمير رحمه الله – وهو من كبار التابعين – (رؤيا الأنبياء وحي)

ونقل ابن القيم في أعلام الموقعين الإجماع على أن ما يراه الأنبياء في المنام وحي ، والإشكال هنا في قوله " إذ أغفى إغفاءة " هل هو خبر عن نوم كما ذهب إليه البلقيني وجماعة ، أم هي إغفاءة الوحي التي كانت تنتاب النبي صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي فيرى كحال النائم وليس هو كذلك كما ذهب إليه الرافعي في أماليه وتبعه السيوطي ؟ والأخير هو الصحيح ، لكن نقول : لوثبت نزول شئ من القرآن مع نومه صلى الله عليه وسلم لم يكن ممنوعا لأن رؤياه وحي ، لكن الأصل في القرآن تلقيه بالسماع والقراءة ، وقد قيل : لم ينزل عليه صلى الله عليه وسلم شئ من القرآن وهو في السماء ، بل كان في الأرض لأنها محل رسالته وبعثته أه

التعريف بأم سلمة :

وأما أم سلمة فهي هند بنت أبي أمية (حذيفة) المخزومية القرشية، كان أبوها يلقب (زاد الركب) لجوده، فالمسافر معه لا يحمل زاداً، وأمها: عاتكة بنت عامر كنانية من بني فراس، تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موت زوجها أبي سلمة بن عبد الأسد وهو ابن عمها ، الذي هاجرت معه إلى الحبشة ثم إلى المدينة، وقيل إنها أول ظعينة ، دخلت المدينة، وكانت من أجمل النساء وأشرفهن نسباً، وكانت آخر زوجات النبي صلى الله عليه وسلم وفاةً فقد توفيت على الأرجح سنة واحد وستين من المهجرة.

ومن مناقبها: زواج النبي صلى الله عليه وسلم منها ودعاؤه لها أن تذهب منها الغيرة.وقد أخبر صلى الله عليه وسلم بأنها من أهل الجنة، وتظهر حكمتها جلية يوم الحديبية، لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحابة فقال: " يا أيها الناس أنحروا واحلقوا. قال: فما قام أحد قال: ثم عاد بمثلها فما قام رجل حتى عاد بمثلها فما قام رجل. فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على أم سلمة فقال: " يا أم سلمة: ما شأن الناس؟ قالت: يا رسول الله قد دخلهم ما قد رأيت، فلا تكلمن منهم إنساناً، واعمد إلى هديك حيث كان فانحره واحلق فلو قد فعلت ذلك فعل الناس ذلك، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكلم أحداً حتى أتى هديه فنحره ثم جلس فحلق، فقام الناس ينحرون ويحلقون، قال حتى إذا كان بين مكة والمدينة وسط الطريق فنزلت سورة الفتح ،وتلك المشورة دالة بوضوح على ما أوتيت من عقل وحسن تدبير. شذى الياسمين في فضائل أمهات المؤمنين (ص: 20)

يَلْحَقُهُ النَّازِلُ مِثلُ الرُّؤْيَا لِكَوْنِ رُؤيَا الأَنْبياءِ وَحْيَا

(يَلْحَقُهُ النَّازِلُ مِثلُ الرُّؤْيَا): يعني حال النوم , يلحقه النازل مثل الرؤيا كسورة الكوثر , ففي صحيح مسلم أن النبي_عليه الصلاة والسلام_ لما أغفى إغفاءة في المسجد قال :((لقد نزلت عليّ آنفاً سورة)) ثم تلاها) ثم تلا سورة الكوثر .يَلْحَقُهُ النَّازِلُ مِثلُ الرُّؤْيَا ... لِكَوْنِ رُؤيَا الأَنْبياءِ وَحْيَا

(لِكَوْنِ رُؤيَا الأَنْبياءِ وَحْيَا): فلا يقال : أن من القران ما نزل في حال النوم، والنوم مِظنة لعدم الضبط، فكيف يُتلقى القرآن في حال النوم؟

نقول : لا , الأنبياء وضعهم يختلف عن سائر النّاس، النبيّ ينام, تنام عيناه ولا ينام قلبه, ورؤيا الأنبياء وحي, ولا يتلبسهم الشيطان ولا يتمثل لهم .

—————————